تغيّر القيم

تحمل مرحلة الشباب في طيّاتها رفضًا للكثير من المعايير الثقافيّة المجتمعيّة، إذ يعتقد جيل الشباب أنّ هذه المعايير تضع العقبات أمام الحريّة الشخصيّة من دون مبرر مقنع، كما أنّ للتحولات التكنولوجية المتقدمة تأثيراتها في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة، عندما انفتحت فجأة على ثقافة تبدو متناقضة مع عاداتها وتقاليدها، وهي الثقافة الغربيّة، بما تتضمّنه من سلوكيّات وممارسات وقيم وافدة ومستحدثة على مجتمعاتنا.

وتعدّ القيم الضابط والمعيار الأساسيّ للسلوك الفرديّ والاجتماعيّ، ولا يمكن تحديد الأهداف التربويّة لتكون معبّرة عن طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع إلّا عن طريق القيم؛ الأمر الذي يؤكّد الحاجة إلى المسؤوليّة المشتركة في تعميق القيم وتنميتها لدى الشباب، عن طريق التخطيط والتنسيق بين كافة مؤسّسات المجتمع، لكي لا تكرّر مؤسّسة أو هيئة ما تفعله المؤسّسات الأخرى.

كما تُرَتب قيم الفرد أو المجتمع تبعًا لأفضليّتها ومستوى أهميّتها وتقديرها، بحيث تسبق القيمة الأعظم أهميّة، ثمّ التي تليها، أي ترتيب هذه القيم لدى الشباب طبقًا لأولويّتها لديهم، وبالتالي تأتي الثقافة الخاصة بالشباب في الوقت الحالي كاستجابة لمتغيّرات محليّة وعالميّة، وذلك برفض القيم السائدة عبر أشكال وصور بديلة للتعبير الثقافي، وهو ما يمثّل استجابة لمطالب من ينتمي إليها، فالخروج من ثقافة والركون لأخرى يؤدّي بالشباب للثورة على المعايير والقيم السائدة ومحاولة للاستقلال عن سلطة المجتمع ونمط حياته، لخلق نوع خاص من القيم والتصرفات والسلوكيات، وهو ما يطلق عليه الصراع الثقافي. (شحاتة،2002).

وحاليًّا تبدو أشكال «الغزو» الثقافيّ مختلفة عن كلّ ما سبق، فهي سريعة الحركة وناشطة في مختلف المجالات. تضع الفرد أمام معطيات كميّة هائلة وبكلّ الاتّجاهات وعلى مختلف المستويات، ما يُفقد المتتبّع القدرة على الاختيار. وتواصل شباب اليوم سريع وعالميّ، ففي حوزتهم كمّ من التقنيّات الحديثة: هواتف نقّالة، إنترنت، Ipad، ستالايت.. كلّ ذلك مقوّمات ومغريات وانفتاح واسع، ويترك الشباب في مهبّ رياح الاستقطاب المتطرّف. ويردّد الأهل دائمًا عبارات «جيل صعب»، «جيل لا

يقنع»، «وإمّا أن نهتم بأولادنا وشبابنا ونرعاهم ونربّيهم، أو أن نتركهم للآخرين يعتنون بهم، وعلى أسس مغايرة بعيدة عن ثقافتنا وقيمنا التي توارثناها وطوّرناها عبر العصور»[1].

إنّ حالة الصّراع بين العلاقات الّتقليدية والحديثة يُمكن أن تنتج ردّات فعل اجتماعيّة وثقافيّة، وتأخذ أشكالًا متنوّعة بمواقفها، إمّا بالانفتاح الإيجابيّ وإمّا بالانغلاق السّلبيّ والتطرّف لأقصى الحدود.

فبين الشباب فئة تقبل الوافد كما هو، حتى لو كان يتناقض مع ثقافته وقيمه. فيكون تقليدًا حماسيًّا وربما أعمى، من خلال الاقتداء بالأقوى (مقولة ابن خلدون: «المغلوب يقتدي بالغالب»)، فَنَجد مظاهر ثقافيّة جديدة، وأشكالًا متنّوعة ربما بلا مضمون، إنّه التقليد الصوريّ.

وفئة أخرى تلتزم بالّتقليد وعدم الخروج عنه، تقليد يُعادي التجديد حتى ولو كان إيجابيًّا. فتبرز عندها حالة من اللاّتوازن برفض الآخر (الأجنبيّ) وبالوقت ذاته تَستهلك إنتاجه. فالرفض يطالُ الشكل، مع عدم وجود عقلانيّة في التّعاطي معه، وكأنّنا نُعيد تجربة الماضي. انعزال دفاعيّ بتجنّب الوافد، وهنا يحصل نوع من الانطواء على الذاتّ، والمشكلة في مجتمعاتنا الّتي لم تعد مكتفية ذاتيًّا، فالحاجة إلى الاستهلاك باتت تطال حيّزًا واسعًا من حياتنا، فموقف الرّفض المطلق وسِلاحهُ الانغلاق الكُلّي تتبعه ردود فعل سلبيّة محاربة. أمّا القبول التّام فهو باسم الانفتاح على العصر، والمُراهنة على الحداثة، والتذرّع بقبول الأمر يتعلّق بظاهرة حضاريّة عامّة لا سبيل إلى ردّها أو الوقوف ضدّها. فموقف الانغلاق وموقف الاغتراب من المواقف التاريخيّة الّتي تُواجه المشاكل لا بِعقل واثق بنفسه متمكّن من قُدُراته، إنّما بعقل مستقبِل لا يرى لصاحبه مخرجًا من المشاكل إلى الهروب منها، إمّا إلى الوراء وإمّا إلى الأمام. فهذه الثنائيّة بين الانغلاق والاغتراب تختلف انشطارًا في الواقع اللّبنانيّ، ولا سيّما في المجتمع المدروس، حيث تصحب معها الصّراع بين القديم السّابق والمعاصِر الحديث.

أما الفئة الثالثة، فهي تقيم توازنًا بين الطرفين، وبم[2]عطيات عقلانية تُحدّد انتقاء ما يتناسب مع واقعها، فنجدها تُمارس الحداثة بروح التقليد، هذه الفئة نجدها أيضًا تعيش صراع إثبات الوجود في ظلّ ما يحيطها من إضرابات نتيجة الواقع القيَمي المأزوم.

وقد تتعرّض المجتمعات الهشّة أو تلك التي تعيش اضطرابات أمنيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة إلى تأثير المعطى الخارجيّ أكثر من غيرها، ومجتمعاتنا، ولا سيّما مجتمع النبطية جنوب لبنان ميدان

1- بحسب تصريحات أولياء الأمور خلال إجراء المقابلات معهم.

الدراسة، خاضت أوضاع مضّطربة ، وهي مستهدفة من الغزوين العسكريّ والثقافيّ على حدّ سواء. والانكشاف الثقافيّ والأمنيّ يؤدّي إلى الاضطراب، وتظهر الآثار مباشرة في الشباب لأنّهم الحلقة الأساس في هذه المعادلة؛ من أجل ذلك تبرز أهميّة هذه المقاربات وخاصّة حاليًّا لما تشهده مجتمعاتنا المنقسمة عموديًّا، فالحركات التي نشهدها اليوم نخشى أن تقودنا إلى الغربة والاضطراب بدلًا من أن تقودنا نحو الاستقرار والنموّ والتّقدم. ويتجلّى ذلك من خلال رصدنا بعض التغيرات القيميّة للشباب وأبرز انعكاساتها في المجتمع المدروس.

خطوات البحث المنهجيّة

تكمُن أهميّة البحث أنها تستهدف فئة الشّباب في ما يتميّز به الأفراد في هذه المرحلة، وهم ما زالوا في طوْر التساؤلات والبحث عن الذّات.

اهداف البحث : إبراز دور التأثير التكنولوجيّ على صعيد علاقة الأبناء بأهلهم. حيث أن التغيير الأهمّ في هذه العلاقة التغيير في المرجعيّة الأسريّة، مع تزايد الاضطراب في الأدوار والقيَم والوظيفة داخل الأسرة، في ظلّ كثرة المسؤوليّات في العمل، وتسلّل أشباح التكنولوجيا إلى المنزل الأسريّ.

منهج االبحث :

المنهج التجريبي والمنهج التحليلي الوصفي

التقنيّات المستخدمة: الاستمارة–المقابلة

عينة البحث: 568 طالب وطالبة في المرحلة الثانويّة والمهنيّة في قضاء النبطيّة جنوب لبنان

تغيّر القيَم وأبرز الانعكاسات

يحتلّ مفهوم القيَم أهميّة كبيرة في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة باعتبارها أحد العوامِل الأساسيّة التي تكوّن سلوك الفرد، حيثُ تقوم القيَم بمجموعة من الوظائف الأخلاقيّة والاجتماعيّة فهي تُحقّق التّضامن الاجتماعيّ الذي يُعَد ظاهرة أخلاقيّة[1].

وقد ناقش الفلاسفة والمفكّرون وعلماء الدين لقرون عدّة أيّ مجموعة من القواعد هي الفضلى، واتّفقوا على أنّ تنمية الأخلاق والنسَق القيَميّ هما الطّريق في أيّ مُجتمع لحياة أفضل، ولكن يبدو أنّ المجتمع الافتراضيّ على الإنترنت يُبرهن وجود شكل جديد من أشكال النشاط الجماعيّ والقيَم والآراء من خلال وساطة التكنولوجيا في الحياة اليوميّة[2].

وهذا ما يجعلنا نسلّط الضوء على تحليل ابن خلدون للقيم في حالتي السكون والديناميكيّة من خلال صراع القيم بين البداوة والحضر. بحيث شدّدت آراؤه على طبيعة التحوّل الاجتماعيّ القيميّ الذي واكب المراحل المتعاقبة المتصلة بدورة الحياة بالنسبة إلى الحضارة (الفتوّة والشباب والشيخوخة)[3]. وقد تناول خصائص المجتمع من خلال الصراع حول الملك والسلطة، فالبداوة تمتاز بالكرم والشجاعة وهي أقرب إلى الخير في العمل، بينما أهل الأمصار فهم أقلّ شجاعة وكرمًا، ولكنّهم أكثر ذكاء من أبناء البادية[4].

ويرجع ابن خلدون هذا الاختلاف في الطبائع إلى صعوبة الحياة في الصحراء، فالبدو «ينفرون في الفقر والبيداء، مولين بيأسهم، واثقين بأنفسهم، وقد صار لهم البأس خلقًا، والشجاعة سجينة يرجعون إليها متى دعاهم داع واستنفرهم صارخ »[5]. فهذا التناقض والصراع يؤدّيان إلى وقوع الفرد في ازدواجيّة الشخصيّة التي تسلك سلوكًا متناقضًا، وقد عبر «علي الوردي» عن هذه الازدواجيّة وانعكاساتها بقوله: «تعني الازدواجيّة أن يسلك الإنسان سلوكًا متناقضًا دون أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه ويعترف به، وهو ينشأ من وقوع الإنسان تحت تأثير نظامين متعارضين من القيم والمفاهيم، فهو يتأثّر بأحد النظامين تارة وبالآخر تارة أخرى»[6].

3- زايد، أحمد، **المدخل النظري في دراسة القيم**، الدوحة، مركز الوثائق والدراسات الإنسانيّة، 1994، ص 52.

2- زايد، أحمد، **المدخل النظري في دراسة القيم**، ص 52، المرجع السابق.

3- النوري، قيس، **آفاق التغير الاجتماعي**، الموصل، مطابع التعليم العالي، 1990، ص 244.

4- نصار، ناصيف، **الفكر الواقعي عند ابن خلدون**، بيروت، دار الطليعة، 1981، ص 248.

5- ابن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**، تحقيق: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصرية، 1995ص 99.

6- الوردي، علي، **لمحات تاريخية من تاريخ العراق الحديث**، بغداد، مطبعة الشعب، 1959، ص 301.

صحيح أنّ الصراع القيَمي وجد مع تنوّع المجتمعات البشريّة في طريقة عيشها، وأنّه تطور بفعل ما لحق بهذه المجتمعات من تطوّر وديناميكيّة على حد قول ابن خلدون، الذي رأى أنّه كلّما حدث الحراك الاجتماعيّ في المجتمع أخذ الصراع على القيم يزداد، إذ إنّ هذا الحراك علامات على التغيير والتبدّل في المفاهيم جرّاء دخول عوامل جديدة على الحياة الاجتماعيّة. وهذا الأمر يسير بوتيرة أسرع في الحضر أكثر من البادية. أمّا ما خصّ الازدواجيّة في السلوك التي تواجه الفرد كما أشار «الوردي» فإنّ هذه المسألة تواكب الأفراد في أيّ مجتمع من المجتمعات، إذ إنّ عمليّة التبدّل في القيم وفي السلوك لا تتم بشكل قاطع مباشر بل تخضع لعوامل متعدّدة وتأخذ وقتًا طويلًا تحدث خلالها تناقضات كبيرة بين الفرد ومحيطه الاجتماعيّ، فهي من أصعب الظروف التي يمرّ بها الفرد حتّى يتخذ قراره النهائي الذي ربما تترتب عليه نتائج سلبية في العلاقة بينه وبين محيطه وبيئته.

وفي الواقع، إنّ لكلّ مجتمع نظرة خاصّة إلى القيم وتختلف اختلافًا بيّنًا من ثقافة إلى أخرى. فبعض الثقافات تغدق قيمة عالية على النزعة الفرديّة، في حين تُشدّد ثقافات أخرى على الاحتياجات المشتركة بين أفراد المجتمع، كما أنّ القيم قد تتناقض داخل المجتمع الواحد، إذ ينزع بعض الأفراد أو الجماعات إلى التركيز على قيم المعتقدات الدينيّة التقليديّة، فيما ينزع آخرون إلى تفضيل التقدّم والعلوم. وفي حين يفضّل بعضهم الراحة الماديّة، نجد آخرين يُفضّلون الهدوء وبساطة العيش. وفي هذا العصر الحافل بالتغيّرات في إطار العولمة، ليس مستغربًا أن يواجه مجتمع ما صراعًا بين القيم الثقافيّة التي يعتنقها مختلف الأفراد والجماعات.

وإنّ كلّ ثقافة تنطوي على قيم تقليديّة تُشكل نسيج الشخصيّة الإنسانيّة وتُصبح جزءًا لا يتجزأ منها. وهذه القيم هي محور شخصيّة الفرد، وكلّ تغيّر يهدّد هذه القيم يُصبح خطرًا يهدّد الشخصيّة، وهذا يعكس إلى حدّ كبير ما يُسمى بأزمة القيم. فعلى أساس القيم يُمكن تشخيص موقع الفرد في المجتمع من حيث ما يقوم به إن كان مرغوبًا أم غير مرغوب فيه، وذلك من خلال تصرفاته الشخصيّة أو علاقاته مع بقية أفراد المجتمع[1].

وتصبح الأزمة بين الثقافة والقيم أكثر تعقيدًا حينما تتعلّق المسألة بالمقدّس والمحرّم، بحيث يمكن أن تؤدّي المؤثرات الخارجيّة التي يتلقاها المجتمع، من خلال التكنولوجيا الحديثة، إلى أزمة ثقافيّة وقيميّة في المجتمعات التقليديّة؛ إذ إنّ هذه المجتمعات تعيش على قشور هذه التكنولوجيا بعكس

1- وطفة، علي، **الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي**، ،مجلة المستقبل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،ص: 53-67.

المجتمعات الغربيّة التي أنتجتها وتعايشت معها منذ البداية. فنجد اليوم جيلًا جديدًا لم يعُد يتفاعل مع الإعلام التّقليديّ بقدر ما يتفاعَل مع الإعلام الإلكترونيّ، يسمّى بالجيل الشّبكي أو جيل الإنترنت، ووجدت شبكات تواصل اجتماعيّ تتّسم بعناصر الفوريّة Immediacy، والتفاعليّة Interactivity، وتعدّد الوسائط Multimedia، والتّحديث Updating. بينما يحرص المجتمع على إعادة إنتاج قيَمِه من خلال مؤسّساته، (العائلة والمدرسة...) وتظهر الرسالات الإعلاميّة المختلفة بأفكارها ومفاهيمها واتجاهاتها مخترقة فضاء المجتمع، وتبثّ فيه ثقافات قد تكون بعيدة عن ثقافتنا المحليَة، ولا سّيما بين أوساط الشباب، ويتبنّى الشباب اللبنانيّ عمومًا، وفئة من الشباب في المجتمع المدروس خصوصًا، نموذجًا جديدًا مغايرًا للنموذج التقليديّ.

ومن هنا تتحدّد المشكلة البحثيّة، وفي هذا البحث نسعى للتّعرف إلى حدود تأثير المواقع الاجتماعيّة في النسَق القيَميّ الأخلاقيّ للشباب سعيًا لتقييم ذلك التأثير.

إنّ ملامح أساسيّة لنماذج سلوكيّات جديدة قد بدأت بالتكوّن لدى الشّباب، تمّ انتقالها من ثقافات أخرى عبر وسائل الإعلام من صحف وتلفاز وإذاعات ومواقع الإنترنت. لكن هذه النّماذج التي تُعدّ غريبة وخارجة عن المألوف لم تنتقل كما هي، بل أصابتها بعض التعديلات، مع تشدّد بعض الأهل وممانعتهم إيّاها، وكذلك فإنّ انتقال هذه النماذج لم يكن مرتبطًا بإمكاناتها الحقيقيّة لأداء وظائفها، أي أنّه كان هناك نجاح في تقليد الأشكال الخارجيّة من دون نقل دقيق لجوهرها الحقيقيّ (حيازة الفتاة أصدقاء عبر الإنترنت من الجنسين، إلاّ أنها تلقى معارضة من الأهل لاستخدامها الخلويّ أو لخروجها إلى السينما مع أصدقاء من الجنس الآخر، إضافة إلى تدخّلهم في طريقة الكلام أو اختيار اللباس وغيرها من الأمور)[1].

إنّها نماذج جديدة بالقياس مع النّموذج التّقليدي، ويمانع الأهل الأشكال التي يرون أنّها تتخطّى حدود المحافظة بشكلها التّقليدي والمتوارث. غير أنّ الشّاب، بشكل عام، يفصل بين الأشكال الخارجيّة وجوهرها أو معناها، ويحاول أن يُصبغ على الأشكال معاني أخرى تلائم تكيّفه مع المحيط أو بالأحرى مع الأهل، مقنعًا في ذلك نفسه في الدرجة الأولى وأهله في الدرجة الثانية. وهو أيضًا يطرح التساؤلات حول مدى جدوى النماذج التقليديّة، فلا يفقه وظائف هذه الأشكال أو يشكّك في حسن قيامها بهذه الوظائف. لهذا فهو يقبل ببدائل تطرحها مؤسّسات أخرى كمؤسّسات الإعلام، التي هي بنظره أكثر

1- بحسب تصريحات الأهل والشابات على حدّ سواء.

إبهارًا وتلبية لرغباته وغرائزه المكنونة، بعكس المؤسّسات الأخرى المسؤولة عن تنشئته الاجتماعيّة (الأسرة والمدرسة).

فالنموذج التقليديّ لسلوك الفرد في المجتمعات الشرقيّة تحكمُه قيم ومعايير مختلفة عن تلك التي تحكم النموذج الذي يُنشر في وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصًا تلك التي تلقى رواجًا بنسبة كبيرة بين الشباب (الفيديو كليبات، وأفلام الـ«Action»). فالقيم التقليديّة السائدة والمتوارثة هي: المحافظة والعلاقات القرابيّة القويّة، أمّا القيم التي تروّجها وسائل الإعلام فهي: التحرّر والعلاقات التي لا تعتمد القرابة أساسًا لها، وهو ما يتلاءم مع القيمة الأساسيّة التي تعتمدها، وهي قيمة ترويج سلع استهلاكيّة محدّدة، نظرًا إلى ما رأيناه من ارتباط وثيق بين مؤسّسات الإعلام ومؤسّسات الإعلان في العالم أجمع.

والشباب يتعرّضون إلى وابل من الإعلانات والاستعراضات ممّا تنتجه شركات الإعلان، وقد يتبنّون نموذجًا جديدًا تروّجه وسائل الإعلام، ليس نابعًا من انبهارهم بها فقط، بل أيضًا بالشّخصيّات التي تقدّمها وبكلّ أنواع سلوكيّاتها الاستهلاكيّة وما تحمله من قيم، ولرغبتهم في الحصول على الاعتراف أو القبول الاجتماعيّ بين أقرانهم المبهورين. وكلّ ذلك يشير إلى وجود أزمة متفاقمة لدى الشباب. فهم، وفي ظل الظّروف الطبيعية، يعيشون أزمة التّكيف مع المحيط بانتقالهم من مرحلة الطّفولة إلى مرحلة المراهقة فالشّباب، وما يطلبه منهم المُجتمع في هذه المرحلة كونهم أصبحوا على عتبة النضوج، فكيف بهم في ظلّ ظروف غير طبيعيّة ومؤثّرات خارجيّة تضاف إلى مشاكلهم الطبيعيّة؟ فهم باختصار حائرون، ضائعون بين نموذجين: تقليديّ محافظ، وآخر جديد متحرّر.

وربما نجد أزمة ثقافيّة ونفسيّة يرزح تحتها جيلنا الصاعد، فهو بحاجة إلى التّحرر من قيود الأسرة والشعور بالاستقلال الذاتي. وهذه المشكلة هي السبب الرئيس في معظم الصراعات التي تحدث بين الشباب وأسرهم، ومن أمثلة تلك الصراعات، الصراع على حريّة اختيار الأصدقاء، وطريقة صرف النقود أو المصروف، ومواعيد الرجوع إلى المنزل في المساء، وطريقة اخْتيار الملابس وقصّ الشّعر، واستعمال سيارة الأسرة فى سنّ مبكرة من دون الحصول على رخصة القيادة، وأمور أخرى تطرّق إليها الشباب خلال اللقاء المفتوح معهم. وتدلّ الكثير من الدراسات والأبحاث التي أجريت حول مشكلات المراهقة ومعاناة الشباب على أنّ أكثرهم يعانون فجوة الأجيال التي تتسع تدريجيًّا، والتي يزداد اتّساعها

يومًا بعد يوم، خصوصًا مع تأثير وسائل الإعلام، بين ما يقومون به من أعمال وتوقّعات آبائهم في ما يجب أن يمارسوه بما يتفق مع معاييرهم الأسريّة[1].

فالاتصالات التي تتمّ من خلال الإنترنت (عبر المنتديات الإلكترونيّة بالخصوص)، ذات آثار وانعكاسات على مستويات عدّة، وعلى مُختلف الجوانب (الاجتماعيّة، النفسيّة، المعرفيّة والسلوكيّة...)، وهيَ إمّا انعكاسات إيجابيّة أو سلبيّة، وهذا شيء طبيعيّ لأنّ الإنترنت كغيره من وسائل الإعلام والاتصال، لا بدّ من أن يحدث أثرًا في مستعمليه وتغييرًا، سواء أكان في الجانب الثقافيّ[2]، أم الاجتماعيّ[3]، أم السلوكيّ[4]، أم اللغويّ[5]، أم السيكولوجيّ[6]، إلى غير ذلك من الجوانب التي يمكن أن يلحقها هذا التأثير؛ الذي سيكون أعمق من قبل، نظرًا إلى تطوّرها وتعدّد تقنيّاتها وخدماتها، فمن دون شكّ كلمّا تطورت وسائل الإعلام والاتصال زادت حدّة تأثيراتها ووقع انعكاساتها. وبناء على ما تقدّم يمكن أن نلخّص **الانعكاسات على الشكل الآتي:**

1- الديراني، سليمان، **موقع المحلي في مسارات العولمة**، أطروحة دكتوراة في علم الاجتماع، الجامعة اللبنانيّة 2007-2008، إشراف د. فريدريك معتوق؛ منذر، تمام، **الفايسبوك والشباب شكل من أشكال التواصل الاجتماعيّ**، دبلوم دراسات عليا في علم اجتماع المعرفة، الجامعة اللبنانيّة، 2014- 2013، إشراف د. علي بزي؛ عياد، مشاعل، **تاثير التلفزيون ووسائل الاتصال الحديثة على العلاقات الأسرية في جنوب لبنان** دبلوم دراسات عليا في علم الاجتماع العائلي، الجامعة اللبنانيّة، 2012- 2013، إشراف د. طلال عتريسي؛ النبي، إيمان، **دور أفلام الكرتون وبرامج الأطفال في تنشئة الطفل الاجتماعيّة**، دبلوم دراسات عليا في علم الاجتماع العائلي، الجامعة اللبنانيّة، 2011-2012، إشراف د. طلال عتريسي؛ عون، عبير: **تكنولوجيا التواصل وانعكاساتها على الأسرة**، دبلوم دراسات عليا، علم اجتماع عائليّ، الجامعة اللبنانيّة، 2011-2012، إشراف د. ميرنا الصبوري.

2- ينظر: عبد العاطي نجم، طه، **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، الإسكندريّة، دار المعرفة الجامعيّة، 2005م. ص 34.

3- ينظر: عثمان الصديقي، سلوى، **أبعاد العمليّة الاتصالية، رؤية نظريّة وعمليّة وواقعيّة**، الإسكندريّة، المكتب الجامعي الحديث، 1999، ص 16-83.

4 -Talaat, Shahinaz M.. **The Effects Of Mass Media On Society**, Cairo, Cairo university,2001, p. 80

5 -Zartarian V. , noël. E, **cybermonde: ou tu nous mènes grand frère ,?** Genève, Georg, 2000. p. 124.

6- ينظر: نبيل علوة، رأفت، **شبكات الاتصال**، عمان، مكتبة المجتمع العربي، 2007م، ص 42.

- **الانعكاسات الاجتماعيّة:** يُمكن القول: إنّ الأثر الأساسيّ للاستخدام المفرِط لتطبيقات الإنترنت الإلكترونيّة يتمثّل في علاقة الفرد بمحيطه الاجتماعيّ، ونسبة احتكاكه به، حيث إنّ العديد من الدّراسات التي تناولت هذه الجوانب بيّنت أنّ هؤلاء الأفراد يحدث لهم نوع من العزلة والانفراد، وتراجع مدّة جلوسهم مع أفراد عائلاتهم وأصدقائهم[1].

فهناك علاقة بين استعمال الإنترنت ومشاعر العزلة الاجتماعيّة والاكتئاب[2]. والاستعمال الزائد للإنترنت كانت له علاقة مع انخفاض الاتصالات العائليّة، ونقص حجم الدائرة الاجتماعيّة المحلّية للعائلة، مع زيادة مشاعر الاكتئاب والوحدة[3]، فالتقنيّات الاتصاليّة للإنترنت تجعل الفرد يشعر بمتعة وسعادة، نظرًا إلى إمكانيّة الحديث مع أشخاص من كلّ أنحاء العالم وفي الوقت الآني المتزامن، وهذا ما يجعله يستغرق في النقاشات ويقضي أوقاتًا دون أن يشعر، وبالتالي «ينفصل عن المجتمع الحقيقيّ ويدخل في مجتمعات افتراضيّة»[4]، ويصبح شخصًا غريبًا عن مجتمعه، وينقص اهتمامه بقضاياه وبأحداث محيطه الاجتماعيّ، ومع مرور الوقت يتحوّل إلى شخص منعزل تمامًا عن بيئته الاجتماعيّة،

1- ينظر: رومية، فاطمة، **تأثير وسائل الاتصال الحديثة على التّماسك الأسري**، رسالة أعدّت لنيل دبلوم دراسات عليا في علم الاجتماع العائلي، الجامعة اللبنانيّة، 2014-2015، إشراف د. ناهدة السّوقي.

2- ينظر: المصري، غادة، **التغيرات السلوكية في المجتمع اللبناني**، رسالة أعدّت لنيل دبلوم في علم اجتماع المعرفة، الجامعة اللبنانيّة، 2005- 2004، إشراف د. خليل أحمد خليل.

3- ينظر: المرجع نفسه.

4- هاورد راينغولد أوّل من استخدم هذا المصطلح وعرّفه بأنّه تجمعات اجتماعيّة تنشأ من شبكة حين يستمر الناس في مناقشاتهم العلنية لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانيّة كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصيّة في الفضاء السايبري. ينظر:

-Howard ,Rheingold,**The virtual community:Homesteading on the Electronic Frontier** (electronic version),introduction,p. 5 ;

- Breton , Philippe, **le culte de l ' Internet**,La Decouverte,sur le vif, op. cit. 2000 p. 105

كما يعرّفه نديم منصوري بأنّه مجموعة من الأفراد الذين يتشاركون عبر شبكة الإنترنت لمدّة زمنيّة لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعيّة افتراضية تحدّدها منظومة تكنو-اجتماعيّة. ينظر: منصوري، نديم، **سوسيولوجيا الإنترنت، سلسلة اجتماعيّات عربية**، بيروت، منتدى المعارف، 2014، ط 1، ص 21.

ويصيبه ما يسمّى «**بالانعزال الذاتيّ** le repli sur soi»[1]، ويزداد ارتباطه بأصدقائه الافتراضيّين، إلى درجة يفقد الرغبة في الجلوس مدّة طويلة مع أفراد عائلته وأصدقائه؛ ويعود هذا الارتباط الشديد بالجماعة الافتراضيّة ومنتديات المحادثة الإلكترونيّة إلى كون هذه المنتديات «توفر بيئة يقوم فيها الأفراد بتطوير شعور الانتماء والهويّة الاجتماعيّة (socialidentity)، وتوفير بنيات اجتماعيّة موجودة في المجتمع الحقيقيّ»، بالإضافة إلى الأثر المحتمل في العلاقات الزوجيّة، والّتي قد تتدهور بشكل كبير وتؤدّي حتى إلى الطّلاق، خاصة إذا انغمس أحد الطرفين في علاقات افتراضيّة غير شرعيّة[2].

ويقول في هذا الصّدد علي محمد رحومة: «إنّ خروجنا السابق عبر التاريخ البشريّ لم يكن حقيقة الأمر إلا خروجًا من مكان إلى آخر مشابه، من جغرافيا بشريّة إلى جغرافيا بشريّة أخرى. من ثقافة إنسانيّة إلى ثقافة إنسانيّة أخرى. أمّا المجتمع الرّقمي الجديد، فهو خارج بنا إلى مجتمع إنسانيّ آلي»[3].

ولهذا، فإنّ الاستعمال المتواصل لشبكة الإنترنت وخدماتها الاتصاليّة يهدّد بشكل مباشر كيان العلاقات الحقيقيّة وجهًا لوجه، ويُحدث قطيعة بين الأفراد، ما يؤدّي إلى زوال النسيج الاجتماعيّ التقليديّ، وحلول نسيج اجتماعيّ افتراضيّ محلّه، يتميز «بانعدام حميميّة الجوار والتّقارب»[4].

وكنتيجة لهذا الانعزال والانفصال الاجتماعيّ؛ يحدث نوع من التفكّك الاجتماعيّ، **وتطغى** النزعة الفرديّة على الجماعيّة ويتراجع الاهتمام بقضايا الجماعة؛ لكن هذا الانعزال لا يجب أن يجعلنا نغفل عن العلاقات الجديدة التي يكتسبها الفرد مع أفراد من كلّ الأنحاء، فهو يتعرّف إلى أفراد جدد كلّ يوم، وعلى الرغم من ذلك فإنّ هذه العلاقات لا يمكن أن تحلّ محلّ العلاقات الواقعيّة مع محيطنا الاجتماعيّ، ويُمكن كذلك لهذه الاتصالات أنّ تقرّب بين شعوب العالم، وتعرّف بعضهم بتقاليد بعضهم

---

1 –«Encarta – Papakadis M 2008 »people can create a sense of community in cyberspace – la révolution des communication. www. sri. com/policy/csted/reports/sandit, (2008/04/10)

2– Beatriz L. A. Mileham: **online infidelity in internet chat rooms: an ethnographic exploration,** n. 23 (2007), p. 11–31

3– رحومة، علي محمد، (**علم الاجتماع الآلي**)، سلسلة عالم المعرفة، عدد 347، الكويت، 2008، ص 28.

4 –Picourt P. O. : op. cit. p. 131.

الآخر، وتقرّب بين آرائهم وأفكارهم، ويمكن أن تؤدّي كذلك إلى حصول «التجانس الثقافيّ»[1] الذي يجعل ثقافات الأفراد تتعايش وتتقارب فيما بينها، وتتمازج لتأخذ كلّ واحدة عن الأخرى ما يناسبها ويخدمها. ومن الانعكاسات التي تحدث كذلك من جرّاء استخدام منتديات المحادثة الإلكترونيّة اجتماعيًّا وثقافيًّا باعتبارها وسيلة اتصال، «الاغتراب الثقافيّ والتنميط الاجتماعيّ»[2]، الذي يجعل الفرد يشعر وكأنّه لا ينتمي إلى ثقافة مجتمعه، وتبدأ أعراض التملص من عادات مجتمعه وتقاليده، وتبدو أعراض التشبّث بالقيم الغربيّة، وأنماطهم الثقافيّة الناتجة عن كثرة الاحتكاك بهم والاتصال معهم.

– **الانعكاسات المختلفة على السلوكات والمواقف:** يمكن لمستعملي الإنترنت ولا سيّما تطبيقاتها الاتصاليّة الإكترونيّة، أن يتأثروا بالأشخاص الذين يتواصلون معهم، فيحدث جرّاء ذلك تغيّر في سلوكاتهم وتصرّفاتهم، كما تتغيّر كذلك مواقفهم واتجاهاتهم المختلفة؛ لأنّ «اكتساب الاتجاهات الاجتماعيّة لدى الفرد يتمّ عن طريق التفاعل الذي يحدث بين الفرد وغيره من أفراد المجتمع»[3]، ونظرًا إلى اندماج الفرد كليًّا في الاتصال مع أشخاص آخرين، يحدث له نوع من الشعور بالولاء والانتماء، والالتزام بمعايير جماعته الافتراضيّة، وبالتالي تبنّي مواقفهم وأفكارهم واتجاهاتهم، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المحادثة لأوقات طويلة تجعل الفرد يتخلّى عن سلوكات كان يقوم بها لتحلّ محلّها سلوكات غيرها، ولهذا يحذّر المختصّون من أخطار الاتصالات الإلكترونيّة وانعكاساتها على الأطفال والمراهقين، ومن إمكانيّة انحراف سلوكاتهم وأخلاقهم.

– **الانعكاسات على الجانب الدينيّ والأخلاقيّ:** من أخطر الانعكاسات التي يمكن أن تنتج عن الاستعمال المفرط للخدمات الإلكترونيّة، تلك المتعلّقة بالجانبين الدينيّ والأخلاقيّ، حيث إنّ مناقشة مواضيع تافهة وانحرافيّة، ولا سيّما تلك المتعلّقة بالجنس، قد تؤدّي إلى «تدهور منظومة القيم»[4] وانحطاط أخلاقيّ لدى الأفراد؛ لأنّ الحديث الإلكترونيّ قد يكون مع أشخاص جديّين ومتخلّقين، كما قد يكون مع أشخاص منحرفين لا قيَم لهم ولا مبادئ، وهذا ما يُشكل خطرًا خاصة بالنسبة إلى الأطفال والمراهقين، لأنّهم دائمًا ينساقون وراء ما هو غامض ومجهول نظرًا إلى فضولهم الكبير، ومحاولة

---

1 –Breton , Philippe, **le culte de l ' Internet**,La Decouverte,sur le vif, op.cit.2000 ،p52

2– محمود ذهبية، محمد، **الإعلام المعاصر**، عمان، مكتبة المجتمع العربي، 2007، ص48.

3– الدسوقي، عبده إبراهيم، **وسائل وأساليب الاتصال الجماهيريّة والاتجاهات الاجتماعيّة**، الإسكندريّة: دار الوفاء، 2004، ص 143.

4– أحمد المصري، وليد، **(إدمان الإنترنت عند طلاب الجامعة)**، صحيفة جامعة القصيم، عدد 31، القصيم، 2010.

اكتشاف كلّ شيء، ولهذا فإنّهم قد يتعرّضون لنقاشات إباحيّة تؤدّي إلى انحراف سلوكاتهم بشكل كبير؛ ويستطيع الشباب استخدام الألفاظ البذيئة غير الأخلاقيّة، كون هذه المواقع تبيح لهم الاختباء خلف شخصيّات وأسماء مستعارة، بالإضافة إلى هذا فإنّ استغراق أوقات طويلة في استعمال الإنترنت قد يؤدّي إلى تهاون في أداء الواجبات الدينيّة أو المدرسيّة، إلى غير ذلك من العواقب التي تنجر عن الإدمان الإنترنتيّ، فلا يخفى على أحد علاقة الإنترنت بالعواطف والخيالات الرومنسيّة والجنسيّة عند الشباب[1]، وهذا يؤدّي إلى الكثير من العلاقات الشّاذة، وسوء العلاقات بين المرأة والرجل، وتدهور القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة في المجتمعات؛ وهناك من يستعمل بعض الخدمات للقدح في الأشخاص وانتهاك خصوصيّاتهم، أو لاستفزاز طرف معيّن، أو لإجراء نقاشات عنصريّة، وهذا ما جعل العديد من الجهات تطالب بوضع قوانين تلزم مسيّري هذه المنتديات ومصمّميها ومزودي خدمة الإنترنت بمراقبة محتوى حلقات النقاش[2]، وللإشارة فإنّ هناك كثير من البلدان التي تملك تشريعات وقوانين في هذا المجال، تعمل على وضع حدود وإجراءات ردعيّة وتنظيميّة[3].

- **الانعكاسات النفسيّة:** من بين الآثار التي تسبّبها الأوقات المتواصلة أمام الشبكة الإلكترونيّة، الإصابة بالإحباط النفسيّ، والإحساس بالقلق بسبب قضاء أوقات طويلة، ولا سيّما إذا كان هذا الاستعمال عشوائيًّا، أي من دون هدف محدّد مسبقًا، أو إذا أجرى نقاشًا في موضوع تافه لا

1- ينظر: شاهين، منى عبد الحميد: **الإنترنت ما بين التواصل والانقطاع وأثره في تكوين الشخصيّة**، دراسة أعدّت لنيل شهادة دبلوم الدراسات المعمّقة في علم النفس الاجتماعيّ، الجامعة اللبنانيّة، 2003-2004، إشراف د. رجاء مكي؛ رتيب، أمال، وعرفة، أحلام، **(الإنترنت رب الأسرة الجديد)**، مجلة الأسرة، العدد 11، 2003، ص 20.

60% من رواد مقاهي الإنترنت يقضون أوقاتهم في مواقع المحادثة مختبئين خلف شخصيّات وأسماء وهميّة، وتتراوح المعلومات الجنسيّة التي تبثّ عبر الإنترنت ما بين الصور العارية إلى أفلام إباحيّة فاضحة جدًّا ليغطي الجنس الطبيعي على اتساعه إلى أقصى درجات الشذوذ.

2- ينظر: حسن، أشرف جلال، **أثر شبكات العلاقات الاجتماعيّة التفاعلية بالانترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعيّة والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية**، المؤتمر العلمي السنوي الثالث، الإعلام والأسرة وتحديات العصر، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2009، ص 475- 567؛ ينظر أيضًا:

-Le forum des droits sur Internet: quelle responsabilité pour les organisateurs de forums de discussion sur le web-08 juil 2003, (www. foruminternet. org).

3 -www. wikipidia. fr(2007/12/01) ,.

ينفع كالمواضيع الإباحيّة وغيرها، فإنّه من دون شكّ سيشعر في الأخير بالذنب وتضييع المال والوقت، وهو ما يؤدّي به إلى الشعور بالإحباط النفسيّ والمعنويّ[1].

وكما نعلم فإنّ قيم جيل الشباب وتصرّفاته ليست مجرّد نتاج لملامح عضويّة أو نفسيّة، ولكنّها بالإضافة إلى ذلك محصّلة لعمل قوى موضوعيّة عديدة أخرى. فالمجتمعات العربيّة لم تبدأ اتصالها بالعصر الحديث حتى نهاية الحرب العالميّة الثانية، بل حتى منتصف القرن العشرين. ثمّ إنّ عمليّة التحديث بدأت متأخرة لدى العديد من هذه المجتمعات، التي لم تتسنّ لها فرصة الإفادة من الثورة العلميّة والتكنولوجيّة التي حقّقتها الدول المتقدّمة من دون أن تعاني ما عانته هذه الدول.

وبينما كانت معدّلات التغيير الاجتماعيّ الهادئة أو المعتدلة حتى منتصف القرن العشرين تسمح بدرجة من الاستمرار بين الأجيال، يتلقى اللاّحق منها عن السابق التراث من دون عناء كبير، ويتوصّل إلى أساليب توافق وتكيّف جديدة بشيء قليل من الألم، وينتهي إلى إعادة تنظيم من دون الكثير من المعاناة، فإنّ التغيير الاجتماعيّ الآن بسرعته الفائقة وشموله وعمقه يأتي دائمًا بأوضاع ليست لها سوابق، ما يجعل التكيّف معها أو إعادة التنظيم في ما بينها أمرًا يكاد يكون مستحيلًا.

وبعد أن فقدت الخبرة الماضية جزءًا كبيرًا من قيمتها وفعاليّتها، أصبح الكثير من وسائط التنشئة الاجتماعيّة في غير اتساق مع العصر، بحيث إنّها لا تستطيع أن تقدّم تفسيرًا مقنعًا للواقع المتغيّر، ولا أن تفيد في التعامل معه. ومن هنا تفقد الكثير من قيمتها وهيبتها في نظر الشباب.

فثورة العلم والتكنولوجيا، وخصوصًا في مجالي المواصلات والاتصالات، تهزّ الكثير من الأفكار وأساليب السلوك التي ينشأ عليها الشباب، ولا سيّما في المجالات التي تبدو فيها الهّوة واسعة وعميقة بين القيم والأفكار والتصرّفات التقليديّة من جهة ونبض العصر من جهة أخرى. فتوزيع الأدوار وتحديد القيمة الاجتماعيّة لم يعودا يقومان على أساس السنّ أو القرابة، بل على معايير أخرى كالتعليم والمهارات المتخصصة. وبعد أن أصبح دور الإنسان في العديد من العمليّات الإنتاجية والخدماتيّة دور التّحكم والضبط لأجهزة تعمل ذاتيًا زالت الحواجز التي تمنع تخطي سنّ الشباب وبلوغ مرحلة الهرم،

1 –Michel. L. y. , Cheryl. A, Kimberly,J. M. **Depressive symptomatology, youth internet use, and online interactions**, a national survey, journal of adolescent health, n. 36 (2005), pp. 9–18.

وتحمّل المسؤوليّات الاجتماعيّة المهمّة، إذ لم تعد القوّة العضليّة أهمّ متطلّبات الأداء الكفء للعمل المنتج.

وهكذا فإنّ الشباب العربيّ، وبصفة خاصّة الشباب في البيئات التقليديّة كالمجتمع المدروس، يعيش في مناخ زاخر بالمتناقضات، وخصوصًا أنساق القيم بين الأجيال المختلفة وتناقض الحياة اليوميّة مع نسق القيم والمعايير إلى حدّ يتعذّر الاتفاق على شيء مشترك يلتزم به الجميع. في مثل هذه الظروف، وقد يواجه الشاب أزمة، لكون أهدافه وقيمه وتصرّفاته التي يراها صحيحة وأخلاقيّة ومشروعة غير متفقة مع ما سار عليه المجتمع في الماضي. وتصبح الأزمة أكثر تعقيدًا حين يواجه الشاب ضرورة الاختيار من بين بدائل عدّة، هذا من ناحية. [1]

ومن ناحية ثانية لربما لا يبقى للخبرة القديمة المتراكمة مع تقدّم السنّ الفائدة أو السُلطة أو المهابة التي كانت لها قديمًا، ومن ثم يفقد الكبار (الآباء والمربون وغيرهم) الهيبة التي كانوا يكتسبونها بمجرد التّقدم في السنّ؛ فتفقد وسائل التنشئة الاجتماعيّة كالأسرة والمدرسة جزءًا كبيرًا من فاعليّتها وهيبتها، ويلاحظ أنّ أزمة جيل الشباب قد تضرب بجذورها بعيدًا في أعماق بقيّة المجتمع مثل نسق القيم والعلاقات الاجتماعيّة، ونظم الأسرة والتعليم وغيرها من الأنظمة الاجتماعيّة الأخرى.

وإذا كان نسق القيم واسعًا جدًا، لا نستطيع الإمساك به كاملاً، فإنّنا حاولنا إلقاء الضوء على بعض القيم التي يعدّها الشباب في سلم أولوياتهم، وجاءت البيانات الإحصائيّة على الشكل الآتي:

النسق القيمي للشباب عينة الدراسة:

أشارت النتائج الإحصائية إلى أنّ النسق القيمي عند الشباب يتغيّر وإنْ بشكل بطيء، ففي حين نجد قيم «المساواة» و«الحياة المثيرة» تحظى بنسبة 24.4% من اختيارات الشباب، نجد أنّ قيمة المحافظة تحتلّ المرتبة الثالثة (19.7%). وهذه القيم الثلاث هي التي احتلّت المراتب الأولى في النسق القيمي، ما يدلّ على حالة عدم التوازن عند الشباب؛ فهو في الوقت الذي يريد فيه العيش حياة مثيرة بكلّ عناصرها القائمة على المساواة والحريّة والاستقلاليّة، يعود ليؤكّد قيم المحافظة والعودة إلى التقاليد والعادات وما يفرضه المجتمع من رقابة اجتماعيّة لضبط السلوك وفق معاييره الثقافيّة. ولقد

1- ينظر حسن، أشرف جلال، أثر شبكات العلاقات الاجتماعيّة التفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات على العلاقات الاجتماعيّة والاتصالية للأسرة المصرية والقطرية، المؤتمر العلميّ السنويّ الثالث، المؤتمر العلميّ السنويّ الخامس عشر، الإعلام والأسرة وتحديات العصر، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2009.، ص 475- 567.

لمسنا تناقضًا في مواقف الشباب الفئة المستهدفة في هذه الدراسة واتجاهاتهم وآرائهم، منهم تارة يؤمنون بضرورة المساواة الكاملة بين الجنسين نتيجة التغيير الحاصل في بعض العادات والتقاليد ويعدّ قيمة المساواة أولويّة في سلّمه القيمي، وتارة أخرى يجدون مبرّرات للتمييز بينهم، وهذا ظهر في مواصفات شريك الحياة وغيرها من الأسئلة. وسوف نستعرض لاحقًا تحليلًا مفصّلًا عن آراء الشباب حول قيمة المساواة في سؤال منفرد.

نرصد احتلال بعض القيم مراتب دنيا في السلّم القيمي عند الشباب، ولا سيّما المتعلّقة بتحمّل المسؤوليّة، حيث سجّلت أدنى نسبة 0.4%، وهذا بطبيعة الحال ما أشار إليه الأهل خلال إجراء المقابلات، إضافة إلى الأساتذة، فسيطرة روح اللامبالاة وعدم تقدير الأمور عند الشباب من الأمور التي يشكوها الأهل فمثلًا: «تتوتر أعصابهم نحو أبنائهم في الثانويّة العامّة في الوقت الذي يرون فيه أبناءهم لا يشعرون بخطورة هذا الأمر». وبعض الأمّهات يشكوْن أنّ «بناتهنّ لا يساعدن في أعمال المنزل، وأولادهنّ يهملون تلبية شراء الحاجات التي يحتاج إليها الأهل من الخارج». فشبابنا اليوم يطالبون بحقوقهم والحريّة والاستقلاليّة من دون مراعاة للواجبات المفروضة عليهم تجاه الآخرين، أو تحمّل أيّ مسؤوليّة.

وتبين أنّ نسبة 0.6% من الشباب وضع قيمة الحبّ في المراتب الدنيا في سلّمهم القيمي، ولعلّ العلاقات العاطفيّة الافتراضيّة التي يعيشها شباب اليوم، إن لجهة عرضها في المسلسلات التركيّة والكوريّة والمكسيكيّة وإن لجهة ما يخوضونه من تجارب شخصيّة في المواقع الافتراضيّة، كانت لها الأثر البالغ في تغيير نظرتهم إلى الحبّ، في حين نجد أنّ لهذه المرحلة خصوصيّة عاطفية تتمثّل بالمشاعر المرهفة والخيال البعيد. إنّ علاقات الإنترنت فتحت الباب واسعًا أمام سلوكيّات تتّسم بالرومانسيّة التي تتجاوز الحقيقة والمبالغ بها أحيانًا، فهي سلوكيّات جميلة في ظاهرها ولكنّها محبطة ومزيّفة في جوهرها، وهذا الواقع بات ملموسًا لدى شريحة كبيرة من الشباب عيّنة الدراسة، حيث صرّحت أغلب الشابات أنّ الشاب «يوجّه رسالة في الماسنجر لإحدى الشابات تتحدّث عن الإخلاص، والفردانيّة بالحبّ، والاهتمام، والانبهار، وينسخ هذه الرسالة في الحال لأكثر من فتاة في الوقت نفسه»، وهذا ما ترك ظلاله على نظرة الشباب لقيمة الحب.

كما نجد أنّ نسبة 1.1% من الشباب فقط وضع كلًّا من قيم: العلم، التقدير الاجتماعيّ، وقبول الآخر، في سلّمه القيمي، وقد احتلّت المراتب الدنيا، وهذا له مؤشّرات خطرة في المستقبل القريب، حيث ينزع الشباب إلى فقدان العلم ودلالاته القيميّة، إذ أصبح هدف الشباب في ظلّ الواقع

الراهن الذي يمرّ به المجتمع الحصول على الشهادات الرسميّة بوصفها غاية في حدّ ذاتها، لا وسيلة لمراكمة المعرفة والترقي. ولعلّ عوامل أخرى، بالتزامن مع سيطرة وسائل الإعلام اللاهية، تسهم في تدنّي هذه القيمة عند الشباب، وأبرزها الفساد السياسيّ والاقتصاديّ، فالشباب يتذّمرون من الوساطة (الواسطة) أي التدخّل السياسيّ للحصول على مكسب ما، ما يؤدّي إلى إلغاء دور الكفاءة والعدالة في الحصول على وظائف وعمل، فيشعر الكثير منهم بالقلق والخوف من المستقبل نظرًا إلى وجود معوّقات تحول دون الوصول إلى تطلّعاتهم وطموحاتهم وأهدافهم في الحياة. وأكثر الأساتذة يسمعون هذه الشكاوى تتردّد على ألسنة الطلّاب: «إذا ما في دعمة سياسيّة ما منوصل لأيّ مركز»[1]. وهذا يروّج الشعور بالإحباط بين الفئة الشابّة حيث المحسوبيّة والاستزلام يساعدان في تحقيق أهدافهم بحسب تصريحات الأغلبيّة منهم.

أمّا فيما خصّ قيم التقدير الاجتماعيّ وقبول الآخر فنجد شباب اليوم يعيشون حالة تذمّر من الأوضاع السائدة في المجتمع على المستوى الاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ، وكان لا بدّ لنا من الإطلالة في هذه الدراسة على طبيعة المشكلات التي تواجههم، والتي تسهم بتبدّل بعض المفاهيم القيَمية عندهم، فلدى الفئة الشابة مشكلة تكيّف واندماج اجتماعيّ في المنطقة؛ إن لجهة علاقاتهم مع الناس وخاصة الأقارب والتي أصبحت محدودة إلى حدّ ما بسبب التغيّرات التي طرأت من ظروف عمل، ونمط حياة سريع، واحتلال التكنولوجيا مساحة كبيرة من أوقاتهم، وإن لجهة مفهوم الصداقة الذي اختلف بعد ولوج المجتمع الافتراضيّ، وأصبح نطاقها يضيق شيئًا فشيئًا، حيث انتقاء الأصدقاء في الواقع الحقيقيّ غدا محدودًا بين شباب اليوم، فراجت بينهم قيمة الفرديّة والخصوصيّة التي احتلّت المراتب الوسطى في سلّم الشباب القيمي (3.3%) كما قيمة الانتماء (3.7%). وكثيرًا ما يشكو الأهل تمرّد أبنائهم، ومقاومتهم كلّ سلطة، ورفضهم كلّ نصيحة، والعمل بأقصى جهد نحو تكسير سلطة الأهل؛ وذلك بالتمرّد على الأمّ والأب، والتذمّر من كلّ واقع يعيشون فيه وعدم تقديرهم في كثير من الأحيان، وهذا يسبّب نزاعًا بين الأهل والأبناء؛ لأنّ كلّ طرف يبذل جهده كي يثبت كيانه مع الطرف الآخر.

وفي السياق نفسه، نجد أنّ نسبة 1.5% من الشباب اختار الآداب أي التقيّد بالتقاليد الاجتماعيّة، في المراتب الدنيا في سلّمه القيمي، وهنا نرصد تحوّلًا وتغييرًا في الآداب المتعلّقة بالتقاليد والعادات والذوق وأساليب العيش. فما كان يخالف الآداب العامة سابقًا أصبح اليوم مقبولًا، «فآداب

1- هذا ما يردده الطلاب غالبًا.

الإنصات في حضرة الكبار تبدّلت لتكون المشاركة والحوار وإعطاء الرأي بديلًا» إذ إنّ عادات الماضي وآدابه لا يمكن الاستمرار بها أو أن تفرض على الأجيال الجديدة في ظلّ عصر الإلكترونيّات.

أمّا القيم الاقتصاديّة المتعلّقة بالادّخار والاستهلاك المراتب الدنيا فنجد أنّ نسبة 1.1% من الشباب وضعها في سلّمه القيمي، وهذا يشير إلى أنّ الشباب يضع قيمة الادّخار موازية لقيمة الاستهلاك؛ وهو بذلك يبتعد عن التخطيط لمستقبله. لتحتلّ قيمة المحافظة على الأموال المراتب الدنيا عند 1.5% من الشباب فقط.

ونلاحظ أيضًا أنّ نسبة من الشباب وضعوا القيم الجماليّة في المراتب الوسطى للسلّم القيمي عندهم، وجاءت على الشكل الآتي: الأناقة (5.3%)، الاهتمام بالمظهر (4.7%)، الجمال (3.1%). وتعدّ قيم الجمال من القيم التي يسعى إليها البشر على اختلاف ألوانهم ومجتمعاتهم، وفي مختلف العصور، شرط أن تشمل العناصر الماديّة (الجسم واللباس) والعناصر المعنويّة (الأخلاق والأفكار والسلوك كما الحديث). وما نعانيه في مجتمعاتنا اليوم هو التركيز على العناصر الماديّة للجمال وإغفال العناصر المعنويّة. ففئة من شباب اليوم، وإن كانت قليلة العدد، بدأت تتبلور في المجتمع المدروس، بحسب ما توصلت إليه هذه الدراسة، لا همّ لهم سوى التفكير بركوب أفضل السيارات وحمل أحدث الأجهزة الخلويّة، وارتداء لباس جميل يظهرهم أمام الناس بأجمل حُلّة، ويحاولون جاهدين طيلة يومهم الاهتمام بمظهرهم الخارجيّ.

أمّا القيم المتعلّقة باستثمار الوقت والعمل والإنتاجيّة فاختارها الشباب بنسبة 5.7% لتكون في المراتب الوسطى للسلّم القيمي عندهم. لتغيب قيم التعاون والتسامح والشهامة عن السلّم القيمي حيث 0.6% من الشباب اختاروها فقط. في حين كان الناس يتمسّكون بالكثير من الخصال الحميدة، والقيم الجميلة كالترابط الأسريّ والاجتماعيّ، والتراحم، والتعاون، والكرم، ويحرصون على التعارف والتواصل من خلال اللقاءات والزيارات المتصفة بالبساطة وعدم الكلفة بين الأقارب والمعارف والجيران، وفي حضورهم ومشاركاتهم بمناسبات بعضهم بعضًا، وتعاونهم في جميع أمور الحياة، ما يخيّل إليك أنّ مجتمع القرية أو الحي الواحد من المدينة بمثابة أسرة واحدة تعيش بروح الألفة والمحبة. ولقد تمّ الوقوف عند قيمة المساواة في هذا البحث من خلال طرح سؤال مباشر عن المساواة بين المرأة والرجل.

رسم بياني(1) ترتيب النسق القيمي عند الشباب عيّنة الدراسة

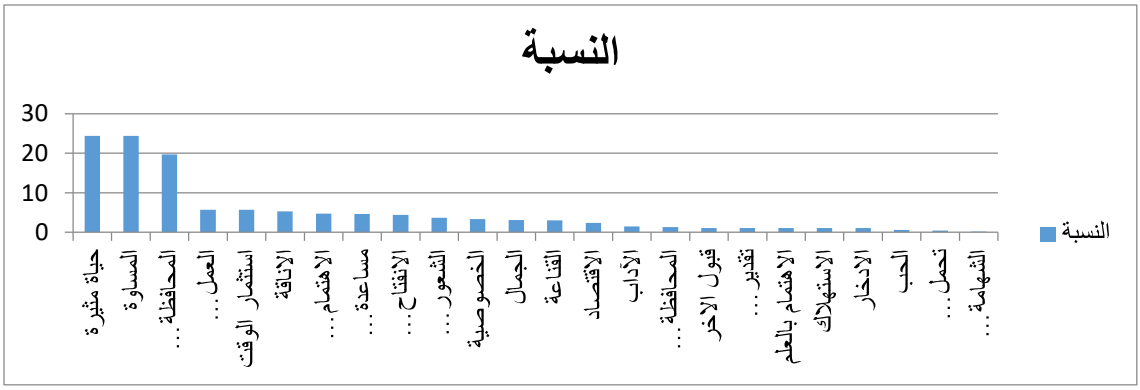

المساواة بين الجنسين:

رسم بياني(2) توزع آراء الشباب حول تأييد المساواة بين الجنسين

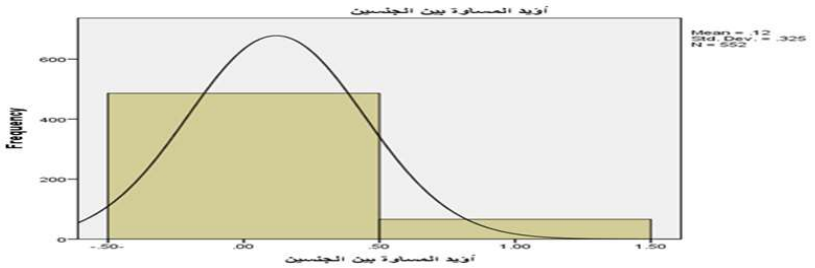

لطالما طرحت قضيّة المساواة بين الجنسين كقضيّة أساسيّة لرؤية الاستدامة التي يحترم فيها كلّ عضو في المجتمع الأعضاء الآخرين ويحقّق إمكاناته. والهدف الأعمّ المتمثل في تحقيق المساواة بين الجنسين هدف يشمل المجتمع بكامله وتسهم فيه جميع مؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة، وغالبًا ما يكون التمييز القائم على الجنس مترسخًا في نسيج المجتمعات.

وفي العديد من المجتمعات، تُستبعد النساء في حالة اتخاذ القرارات الأسريّة والمجتمعيّة التي تؤثّر في حياتهنّ ورفاهتهنّ، وهذا ما تمّ تفصيله في الفصل الثالث، وما يعنينا هنا رصد موقف الشباب من قيمة المساواة بين المرأة والرجل في قضاء النبطيّة. وفي ما يأتي البيانات الإحصائية التي تُحدّد هذا الموقف:[1]

[1]– رسم بياني(2) توزع آراء الشباب حول تأييد المساواة بين الجنسين راجع الملاحق

اللافت ارتفاع نسبة الشباب الذين يؤيدون المساواة بين المرأة والرجل لتسجل 88%، في حين أنّ نسبة 12% ترفض هذا التأييد. وتعدّ نسبة المؤيّدين مرتفعة في مجتمع تحكمه العادات والتقاليد؛ ما يشير إلى أنّ هذه المجتمعات تمرّ بحالة من التغيير الاجتماعيّ الذي لا يمكن حصره بالاقتصاديّ فقط، وإنّما امتدت مظاهره إلى نواحٍ عدّة. وإن كان هذا التغيير يبقى متخفيًّا في كثير من الأحيان، ولا سيّما إذا ما تمّت مقارنة هذه الإجابات مع إجابات مواصفات الشريك فإنّنا نجد نوعًا من الانفصام: ففي حين نلمس ارتفاع نسبة المؤيّدين للمساواة بين الجنسين نجد أنّ مبدأ «للذكر مثل حظ الأنثيين» لا يزال مطبّقًا في المجتمع المدروس، حيث لمسنا أنّ الشبّان مثلا يحلّلون لأنفسهم ما يحرّمونه على الشابات لجهة التعارف على الإنترنت.

وطرح هذا السؤال أيضًا في الحوار المفتوح مع الطلّاب، وكان تأكيد الفتيات بشكل خاص على معاناتهم المعاشة، إذ تسود حالة من الصراع الدائم لإثبات الوجود وللحصول على المكتسبات مثال: الخروج من المنزل، اللباس والتقيّد بالحشمة، إثبات الوجود بإعطاء المثال الجيد، وبرزت أهميّة العلم في تأكيد الذات وفهم الآخر والتصرّف الإيجابيّ.

إنّ الأنثى في مجتمعنا لا تزال ترزح تحت عبئين ثقيلين، الأوّل فيما يتعلّق بعدم إطلاق حريّتها كاملة مثل الذكر، وإشعارها دائمًا بأنّها غير قادرة على الاستغناء عن الرجل. والثاني يتمثّل في مطالبتها بالقيام بوظائف حياتيّة كثيرة التي غالبًا ما تكون من دون أجر ماديّ، كعملها في المنزل، وعدّه من واجباتها، بحسب تعبيرات الأزواج خلال إجراء المقابلات معهم، إنّ الأزواج الذين لا يساعدون زوجاتهم بالأعمال المنزليّة هم الأغلبية (23 رجلًا)، وهذا يوضح أنّ الزوج في المجتمع المدروس، على الرغم من أنّه قد رضخ للأمر الواقع وتخلّى عن بعض تلك «السلطة» لصالح زوجته في المنزل ولو بنسب مختلفة من أسرة إلى أخرى، وأنّه يعيش الحداثة الجديدة ويتمتّع بها، ما زال يرى أنّ الأعمال المنزليّة شأن أنثويّ لا علاقة له به، وكأنّه ما زال يأخذ دور الضيف الدائم نظرًا إلى أنّه يعدّ رئيس الأسرة بإعالتها ماديًّا محافظًا بذلك على سمات الأسرة التقليديّة والنظرة إلى الرجل السيّد في منزله. علمًا أنّه لم يعد رئيسًا مطلقًا للأسرة، أو حتى الرئيس الثاني (الزوج والزوجة) في الوقت نفسه، فللأولاد أيضًا حصّة الأسد في الرئاسة. وفي هذا السياق، إذا تعمّقنا أكثر في التحليل كون المجتمع المدروس ينتمي بغالبيّته إلى الديانة الإسلاميّة، وكون العامل الدينيّ يشكّل حيّزًا واسعًا في ثقافة هذا المجتمع، نجد أنّ الإسلام قد عدّ عمل المرأة في البيت من الأعمال التي تستحقُ عليها الأجر، فهو ليس من واجباتها

الزوجيّة[1]، حتى الإرضاع، إذ لو طلبت أجرًا على إرضاع ولدها فعلى الزوج أن يدفع هذا الأجر لها[2]. فإذا كان الإسلام يعدّ عمل المرأة في البيت عملًا مستقلًا لا يملك الزوج أن يستثمره بعيدًا عن إرادتها، وأنّ لها أن تطلب أجرًا على هذا العمل، نجد أنّ المجتمع يمنّ عليها ببعض الحقوق التي يستنسبها لها أيضًا، ولعلّ هذه النسب التي صرّح بها الشباب تكون ملموسة عمليًّا مع وجوب الإشارة إلى أنّ عينة الدراسة تتكوّن من غالبيّة أنثويّة.

إنّ المرأة تُعاني أزمة الازدواجيّة بين ما حملته من الثقافة الشعبيّة السائدة في المجتمع التي تعطي الأنثى الأولوية كتابع وليس كشريك، وحاجاتها إلى التكامل والشراكة الحقيقيّة مع الرجل، وما تربّت عليه وما يجب أن تُربي عليه أولادها. أغلب النساء يعشن صراعًا بين الماضي والحاضر، بين البقاء في المنزل أو الخروج إلى العمل، بين المساواة بين أولادهم الذكور والإناث أو الخضوع للمعايير الاجتماعيّة السائدة في الثقافة الأساسيّة للمجتمع المدروس.

الشخص الأكثر تأثيرًا في حياة الشباب (المثل الأعلى)

رسم بياني(3) توزع الشباب حسب اختيارهم للشخص الأكثر تأثيراً في حياتهم

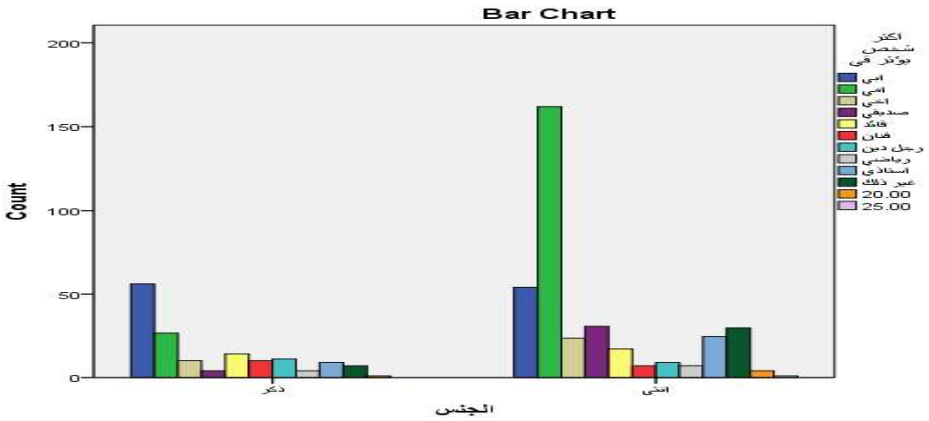

1- العودة إلى فتاوى السيّد محمد حسين فضل الله: **فقه الشريعة**، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ط9، 2012، ص 520. وأيضًا موقف الإسلام من عمل المرأة برأي السيّد محمد حسين فضل الله. وأيضًا: د.عتريسي، طلال: المرأة في فكر الإمام الخامنئي، دار المعارف الحكميّة، بيروت، 2016.

2- بحسب السيّد محمد حسين فضل الله مستندًا إلى سورة الطلاق: الآية 6. ويشير إلى أنّ حكمة تشريع هذه الفتوى هو أن تشعر المرأة بإنسانيّتها في الحياة الزوجيّة كونها لم تدخل البيت كخادمة أو مربية أطفال تمارس هذه الأعمال قسرًا عنها.

عادة ما يكون المثل الأعلى للفرد الشخصيّات التي يتمّ التأثّر بها وتقليدها والاستماع إلى نصائحها، وإذا كانت الإيديولوجيا تشكّل المدخل الرئيس لتحديد المثل الأعلى للفرد، فإنّ غالبيّة أفراد العيّنة في مرحلة النضج، والمثل الأعلى لغالبيّتهم يكون الأهل أو الأمّ أو الجدّ والجدّة. ودخول

مؤثّرات خارجية تجعل من المثل الأعلى عرضة للتبدّل بحيث تتبدّل معه القيم التي توجّه سلوك الشباب. ولمّا كانت وسائل الاتصال والتواصل إحدى هذه المؤثّرات الخارجيّة، فإنّ تأثيراتها لا بدّ من أن تكون على قدر من الأهميّة في تبدّل القيم وفي النظرة إلى الأهل، وقد تمّ عرض لائحة على الطلّاب لاختيار الشخص الأكثر تأثيرًا في حياتهم (أمي- أبي- أخي- صديقي- قائد- فنان- رجل دين- رياضيّ- أستاذي) تبعها سؤال مفتوح لتحديد أهمّ ثلاث شخصيّات كمثال في حياة الشباب، وتبيّن من خلال النتائج الإحصائية.

إنّ الأهل هم الأكثر تأثيرًا في حياة الشباب عيّنة الدراسة. حيث سجّلت النسبة الأعلى 57.7% من الشباب الذين اختاروا الأهل المؤثّر الأول في حياتهم، وتوزّعت هذه النسبة وفقًا لمتغيّر الجندر حيث اختارت نسبة 43.7% من الشابات الأم كونها الشخص الأكثر تأثيرًا في حياتها، في حين نجد أنّ 36.6% من الشبّان اختاروا الأب كونه أكثر شخص مؤثّر في حياتهم. كما نجد أنّ نسبة 17.6% من الشبّان يتأثّرون بوالداتهم، ونسبة 14.6% من الشابات يتأثرنّ بآبائهنّ.

في حين أنّ النسبة المتبقّية من العيّنة وهي دون النصف تقريبًا، تأرجحت خياراتهم على الشكل الآتي:

نسبة 9.2% من الشبّان اختاروا «قائدًا» مقابل 4.6% للشابات، ونسبة 7.2% من الشبان أكدّوا أنّهم يتأثرون بشخصيّة رجل الدين مقابل 2.4% للشابات، ونسبة 6.5% من الشبّان والشابات اختاروا الأخ كشخصيّة مؤثّرة في حياتهم، أمّا تأثير الأستاذ في حياة الشباب، فبلغت نسبة 5.9% للشبّان مقابل 6.7% للشابات.

والملاحظ انخفاض تأثيرات الفنانين والرياضيّين في حياة الشباب، فقد أحرز اختيار الفنان كمؤثّر في شخصيّة الشبّان نسبة 6.5%، مقابل تدنّي هذه النسبة عند الشابات لتبلغ 1.9%. أمّا الرياضيّ فحاز نسبة 2.6% عند الشباب مقابل 1.9% عند الشابات.

وهذه النتائج جاءت تأكيدًا للإجابات المختلفة عن السؤال المطروح في الاستمارة حول «تحديد ثلاث شخصيّات تعدّها مثالًا تقدّره»، فأعطي الأهل: الأب أو الأم النسبة الأعلى، وفي أحيان كثيرة الأخ، ومن ثمّ قائد سياسيّ في المجتمع «الأستاذ نبيه بري والسيّد حسن نصر الله»، كما كان ثمّة من سجّل بنسب مرتفعة أيضًا «السيّد موسى الصدر» إضافة إلى «تشي غيفارا» و«أنطون سعادة» وإن بنسب ضئيلة. بالمقابل كانت تمرّ أسماء بعض اللاعبين الرياضيّين، وتحديدًا اللاعب الأرجنتينيّ «LionelMessi» ولاعب ريال مدريد البرتغالي «CristianoRonaldo»، وإن بنسب ضئيلة جدًّا.

إنّ السؤال عن مثل عليا عند جيل اليوم هو لرصد مدى تأثّر هؤلاء الشباب بسيرورات العولمة، وتطوّر التكنولوجيا ووسائل الاتصال والتواصل، حيث ظهرت أنماط جديدة من الاستهلاك في المجتمع اللبنانيّ ككلّ، ولدى الفئة الشابة على وجه الخصوص، ولعلّ المجتمع المدروس قد لامس هذه التغيّرات كونه جزءًا من المجتمع اللبنانيّ الذي شهد عدة تحوّلات، والتغيير سمة المجتمعات الديناميّة، وإذا ما تعمّقنا في تحليل هذه النتائج نجد أنّ نسبًا متدنيّة جدًّا من الشباب عيّنة الدراسة تعمل على تقليد مغنّيات أمثال «شاكيرا– مادونا– الليدي غاغا» أو ممثلات من المسلسلات التركية، أو رياضيّين «ميسي ورونالدو..». لنجد أنّ النسب ترتفع لصالح الأهل بشكل ملحوظ، عند نصف العيّنة. حيث استمرار الأهل كمرجعيّة أولى لهم يستقي منها الشباب مثله وقيمه، والأهمّ مثاله الأعلى الذي يقتدي به في تكوين شخصيّته. وفي اعتقادي أنّ ارتفاع هذه النسبة أمر طبيعيّ باعتبار أنّ غالبية الشباب ما زالوا مرتبطين بأسرهم إلى حدّ بعيد، كونهم يعيشون في كنف الأسرة ويتلقون تعليمهم وحلّ مشاكلهم وقضاء حاجاتهم ضمنها. أمّا النسب الأخرى التي كانت غير موزعة بالتساوي على أفراد آخرين من خارج الأسرة عند بعضهم، فلعلّها تؤشّر على احتمال تراجع الدور والهيبة للأهل عند هؤلاء.

ولا شكّ في أنّ ثمّة شريحة من الشباب هي قيد التبلور تعاني حالة الفجوة بين الأجيال، والتي تتوسّع بدورها في ظلّ تأثير التكنولوجيا وآليّات التواصل الاجتماعيّ، والمقصود هنا الفروقات بين ما يقوم به الأبناء من أعمال وتوقّعات آبائهم، في ما يجب أن يمارسوه بما يتفق مع المعايير الأسريّة[1].

بحسب النسب البيانيّة التي تمّ حصرها بالاختيارات المطروحة في سياق السؤال، لتمييز الفارق الذي سجّل بحسب الجندر، كان اللافت فيها لجوء الشابات إلى الأهل والبيئة الاجتماعيّة الضيّقة وبالدرجة

[1]– رسم بياني(4) توزّع الشباب حسب إلى من يلجؤون في حال تعرضهم لأي مشكلة بحسب الجندر راجع الملاحق.

الأولى الإخوة بنسبة 79.3% والأقارب 76.9%، لتتساوى النسب تقريبًا في لجوء الشابات إلى الأب والأم بنسبة 73.3% و73.9%، وهذا يؤكد أنّ للأب دورًا كبيرًا ومتوازيًا مع دور الأم في حياة الشابات، ولعلّه يشير أيضًا إلى تغيّر نوعي في طبيعة المجتمع المدروس الذي لطالما صنّف من المجتمعات التقليديّة التي تعطي الأب الدور والطابع السلطويّ، لتبين النتائج هنا أنّ مساحة كبيرة من الحوار بدأت تنشأ بين الأب والابنة. وهذا تمّ رصده في متن الدراسة سابقًا في ما يتعلّق بكيفيّة توجيه الأوامر، فقد أكّدت العيّنة المستجوبة من الشبّان والشابات اعتماد طريقة الحوار والمناقشة، حيث سجّلت النسبة الأعلى 80.6% للحوار، أمّا فيما يتعلّق بالالتزام بالقرارات دون نقاش فجاءت النسبة متدنّية لتسجّل 14.4%. والبارز أيضًا ارتفاع نسبة الشابات اللواتي يلجأنّ إلى الأساتذة في حال تعرّضنّ إلى مشكلة، إذ يؤكد أهميّة دور الأساتذة في حياة الشابات. في حين نجد أنّ الشبّان أكثر ميلًا إلى اتخاذ بدائل عن الأهل لحلّ مشاكلهم، وقد يكون ذلك بسبب نزوع الشبّان أكثر لأخذ مساحة من الحريّة خارج إطار الأسرة والمحيط الاجتماعيّ الضيّق، فسجّلت أعلى النسب عند الشبان 42.9% لصالح الأصدقاء، في حين أنّنا رصدنا ارتفاعها عند الشابات إلى 57.1%، أمّا الإخوة فكانت نسبة اللجوء إليهم 30.7% عند الشبّان الذين اختاروا بنسب متقاربة اللجوء إلى الأب (26.7%) والأم (26.1%) والأستاذ (25%)، أما نسبة اللجوء إلى الأقارب فكانت الأدنى (23.1%) عندهم.

جدول إحصائي (1) توزّع الشباب حسب إلى من يلجؤون في حال تعرضهم لأي مشكلة بحسب الجندر

	ذكر	أنثى
الأب	**%26.7**	**%73.3**
الأم	**%26.1**	**%73.9**
الإخوة	**%30.7**	**%79.3**
الأصدقاء	**%42.9**	**%57.1**

الأقارب	**%23.1**	**%76.9**
الأساتذة	**%25.0**	**%75.0**

الخلاصة

تعدّ القيم الاجتماعيّة أحد المفاصل الأساسيّة في عمليّة التنشئة الاجتماعيّة، وبخاصّة لدى الشباب في بداية تكوين شخصيّاتهم، بحيثُ تُشكل المؤسّسات التي يرتادونها أو يعيشون في كنفها المحطات الرئيسة في عمليّة تكوين القيم التي ترتبط إلى حدّ ما في عمليّات التغيّر الاجتماعي وحركة المجتمع، إذ إنّ هذه القيم هي نسبيّة بشكل عام، وتختلف من مجتمع لآخر أو داخل المجتمع نفسه. فما يُعدّ ذا قيمة أصيلة وأساسيّة في مجتمع ما لا يأخذ هذا المنحى في مجتمع آخر. وعلى هذا الأساس تتعدّد مصادر القيم وتتنوّع، وهذا ما يجعلها تخضع لعدد من المتغيّرات تتحكم فيها بعض العوامل التي تطرأ على المجتمع الذي يقف في مواجهتها في البداية، غير أنّه في النهاية سوف ينساق مع العقل الجمعيّ الذي يسير في اتجاهها، والمجتمع نفسه، الذي كان ينظر إلى إحدى الظواهر الاجتماعيّة بسلبيّة فإنّه أصبح الآن أكثر مرونة في تقبلها.

ونظرًا إلى الازدواجيّة في المعايير القيَميّة، والتداخل في ما بينها، إن كان لجهة قبولها أم رفضها من قبل الشباب والمراهقين بشكل خاص، فإنّ هذه الازدواجيّة وهذا التخاصم والتنابذ بين القيم التقليديّة والقيم الوافدة سيبقى تفاعليّا بين مدّ وجزر، بمعنى أنّ زيادة الضغط والانفلاش القيَمي الناتج من الاحتكاك والتأثّر بالثقافة المغايرة للمجتمع عن طريق تقنيات الاتصال والتواصل الحديثة، سوف يُنشئ ردّات فعل في البيئة الاجتماعيّة.

وبهذا نكون قد أضأنا في هذا الفصل على أبرز النقاط الآتية:

- رصد تغيّر في نسق القيم عند الشباب عبر تفضيلهم قيمًا تمّ انتقالها من ثقافات أخرى عبر وسائل الإعلام من صحف وتلفاز وإذاعات ومواقع الإنترنت، ما أسهم في هزّ الكثير من الأفكار وأساليب السلوك التي ينشأ عليها الشباب، وخصوصًا في المجالات التي تبدو فيها الهّوة واسعة وعميقة بين القيم والأفكار والتصرّفات التقليديّة من جهة ونبض العصر من جهة أخرى.

لكن هذه النّماذج من القيم لم تنتقل كما هي، بل أصابتها بعض التعديلات عند شريحة كبيرة من الشباب وتحديدًا الشابات.

- استمرار تأثير الأهل في الشباب في ظلّ منافسة الإنترنت وتقنيات التواصل الاجتماعيّ الحديثة، حيث شريحة كبيرة من الشباب اختارت الأهل كقدوة مؤثرة في حياتها، يتم اللجوء إليهم غالبًا، في حين برزت فئة من الشباب توزعت خياراتها على احتمالات أخرى غير الأهل يعدّونها الأكثر تأثيرًا ويلجؤون إليها في حال تعرّضوا لمشاكل وصعوبات، وكان اللافت تصدّر تقنيات الاتصال والتواصل الحديثة هذه الاحتمالات إذ يلجأ إليها الشباب لحلّ مشاكلهم.

غير أنّ النسبة الأعلى منهم وقع اختيارها على الأم لمواجهة أيّ مشاكل أو صعوبات، بنسبة كبيرة جدًا، بينما الأب فنسبة اللجوء إليه عند شبّان العيّنة هي الأدنى مقارنة بالشابات، ولعلّ هذا يدلّ على كون الأب ما زال السلطة المهابة من قبل الشبّان.

- كما أنّ فئة الشباب التي تدنّت نسب اختياراتها للأهل لحلّ مشاكلها سجّلت أعلى النسب في تفضيل أحد الأستاذة أو أحد الرفاق للجوء إليهم، وكان البارز تصدّر الإنترنت وتقنيات التواصل الاجتماعيّ عند هذه الفئة. وهذا دليل على أنّ الشباب بحاجة إلى مرجعيّة تشاركها أمورها، وما تواجهه من صعوبات فنجد أنّ الشباب الذين يعانون اضطرابات في علاقتهم مع الأهل يسعون إلى اللجوء غالبًا إلى بدائل عنهم من خلال المحيط، وقد يكون هذا البديل أحد الإخوة أو الأصدقاء أو الأقارب أو الأستاذ، وهو أمر طبيعيّ، أمّا ما يستوقفنا فهو أن يكون البديل الإنترنت وتقنيات التواصل الاجتماعيّ، حيث تلجأ فئة كبيرة إلى أصدقاء افتراضيّين، من خارج بيئتها لتتشارك معهم مشاكلها؛ ما يجعل التربية تواجه موجة ضغوطات من وسائل التواصل الاجتماعيّ التي باتت محركًا لتصرّفات الأبناء.

وأخيرًا نجد أنّ ثورة المعلومات والاتصالات ووجود الفضائيّات أدّت إلى بعض التغيّرات في حياة الناس وتعاملاتهم، والتأثير المباشر وغير المباشر في العادات، والتقاليد، والقيم، كما الترابط الأسريّ والاجتماعيّ.